النهضة المزهرة بنكسة أليمة. الى جانب ذلك كان المنصور يميل الى كتب المتعة والاسمار بعيدًا من الكتب العلمية الرصينة[1]، إلّا أن المجالس الأدبية لم تغب عن داره، بل كان يحاول أن يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها ولا سيما الأصول الدقيقة منها[2]. كما بقيت الرحلة الى المشرق والعودة بالكتب المروية من الدوافع المهمّة على تطوير النشاط التأليفي.

ومن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه المرحلة ابو عبدالله محمد بن يحيي بن عبد السلام الرباحي الجياني الأصل[3].

حاول الرباحي أن يرفع مستوى الثقافة فاهتم بالنحو ودقائق اللغة اهتمامًا خاصًا مقتبسًا طرق أهل المشرق، وتدريسه كتاب سيبويه عن طريق المناظرة وفتح مجالًا لنوع جديد من طلب العلم لم يعهده الاندلسيون قبله. لذا قيل عن الرباحي إنه كان معلمًا مهمًا في تاريخ اللغة والنحو في الاندلس وحافزًا نشيطًا على اتساع حركة التأليف.

كل ذلك يؤكد ان الأندلس قد اصبحت قادرة على أن تخرج أعلامًا في النحو واللغة والتأليف، فبدأ المعجم العربي يخطو خطوات واضحة نحو الظهور لأن الحاجة أضحت ماسّه إليه. ولعل ورود القالي الى الأندلس قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الأندلسيين رأوا فيه خلاصة العلم المشرقي.

(١) انباه الرواة ٢، ٨٦. معجم الادباء ١١: ٢٨٤ - ٢٨٥.
(٢) مقالة ريبيرا. م ٥: ٧٣، نقلا عن نفح الطيب.
(٣) طبقات الزبيدي: ٣٣٥ - ٣٤٠.